مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ٦: ١٣-٢٠)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ لمَّا وعدَ إبرهيمَ إذ لم يُمكِنْ أن يُقسِمَ بما هو أعظَمُ منهُ أقسمَ بنفسِهِ* قائلاً لأُباركنَّكَ بركةً وأُكثِّرنَّكَ تكثيراً* وذاكَ إذ تأنَّى نالَ الموعِدَ* وإنَّما الناسُ يُقسمونَ بما هو أعظَمُ منهم وتنقضي كلُّ مشاجرةٍ بينهم بالقَسَمِ للتثبيت* فلذلك لمَّا شاءَ اللهُ أن يَزيدَ وَرَثةَ الموعِدِ بياناً لِعَدَمِ تحوُّلِ عزمِهِ توسَّطَ بالقَسَمِ* حتى نحصُلَ بأمرَيْنِ لا يتحوَّلانِ ولا يمكنُ أن يُخلِفَ اللهُ فيهما على تعزيةٍ قويَّةٍ، نحنُ الذينَ التجأنا إلى التمسُّكِ بالرجاءِ الموضوعِ أمامنا* الذي هو لنا كمرساةٍ للنفسِ أمينةٍ راسِخَةٍ تدخلُ إلى داخلِ الحجابِ* حيثُ دخلَ يسوعُ كسابقٍ لنا وقد صارَ على رُتبةِ ملكيصادقَ رئيسَ كهنةٍ إلى الأبد.

أومن يا سيد، فأغث عدم إيماني

تأتي حادثة الشفاء التي يرويها لنا إنجيل اليوم، مباشرة بعد نزول الرب من جبل التجلّي حيث ظهر لمختاريه متألقًا بمجده وبشهادة الآب. هذا يعطي بُعدًا أعمق لحادثة الشفاء ويتجاوزها إلى اعتلان رسالة الابن مخلّصًا لخليقة قبض عليها الشرير واستأسرها. في الربط بين حادثتي التجلّي وشفاء المصروع نتذكر صورة من العهد القديم، حين نزل موسى من جبل سيناء حاملاً لشعب إسرائيل رسالة الخلاص من عبودية فرعون (خروج ٣٤: ٣٠). هذه الصورة يقابلها مشهد الرب يسوع محررًا من كان أسير الشيطان «منذ صباه»، فور نزوله من جبل التجلّي. الشاب المصروع إذًا ليس إلا رمزًا للخليقة التي «منذ صباها»، أي منذ بداياتها الأولى، وقعت في أسر الخطيئة وصارت لها مستعبدة. الرب يسوع نزل من محل مجده الإلهي ليلاقي ألم الخليقة ويشفيها.

من بين الجموع يسارع إلى السيد إنسان حاملاً ابنه المريض وساجدًا بألم وخيبة: الألم على عذاب ابنه والخيبة من فشل التلاميذ إزاء هذا «الروح الأبكم». في ردة فعل يسوع الأولى شيء من غضب يشمل إلى الأب الضعيف إيمان التلاميذ الذين ما استطاعوا الشفاء، والكتبة العالقين في مماحكاتهم النظرية الفارغة، والجموع التي انجذبت وراءهم (راجع الآيتين ١٤ و١٥). «إلى متى أكون معكم، حتى متى أحتملكم»، يسأل السيد الرب. إشكالية الإيمان تنطرح ابتداءً من هذه الكلمات. كم من مرة تألم أنبياء العهد القديم من فساد شعب إسرائيل وعدم ثباتهم على الإيمان، بالرغم من حضور الرب، الذي ما انفك يعتلن لهذا الشعب بالآيات والمبادرات الخلاصية؟

العدد ٢٠٠٥/١٥
الأحد ١٠ نيسان
الأحد الرابع من الصوم
أحد البار يوحنا السلّمي
تذكار القديسين الشهداء ترانتيوس وبومبيوس ورفاقهما
اللحن الرابع
إنجيل السَحَر الأول

ربما هذا ما أراد يسوع أن يذكّر به سامعيه عندما بادرهم بكلماته هذه العاتبة، والتي ما توقف عندها إذ نراه يبادر للتو إلى إعانة الشاب المريض مضيفًا «هلم به إلي».

ما أن يؤتى بالصبي إلى أمام يسوع حتى يصاب بنوبة جديدة. «فلما رآه صرعه الروح فسقط على الأرض يتمرغ ويزبد»، يقول لنا الإنجيلي لا بنيّةِ نسج التفاصيل، وكلنا يعلم أن الإنجيل لا يتوخى مجرد الرواية. الشيطان يثور متى وقف في حضرة السيد ثورة النزاع الأخير. الإنسان

الإنجيل

(مرقس ٩: ١٧–٣١)

في ذلك الزمانِ دنا إلى يسوعَ إنسانٌ وسجدَ لهُ قائلاً يا معلّمُ قد أتيتُك بابني بهِ روحٌ أبكم* وحيثُما أخذَهُ يصرعُهُ فيُزبِدُ ويصرفُ بأسنانهِ ويَيْبس. وقد سألتُ تلاميذَك أنْ يُخرِجوهُ فلم يقدروا* فأجابهُ قائلاً أيُّها الجيلُ غيرُ المؤمنِ إلى متى أكون عندكم حتَّى متى أحتملُكم. هلمَّ بهِ إليَّ* فأتَوهُ بهِ. فلمَّا رآهُ للوقت صرَعَهُ الروحُ فسقطَ على الأرضِ يَتَمرَّغُ ويُزبِدُ* فسأل أباهُ منذ كم من الزمان أصابهُ هذا* فقال منذ صباهُ، وكثيرًا ما ألقاهُ في النارِ وفي المياه ليُهلِكَهُ. لكنْ إن اسْتطعتَ شيئًا فتحنَّنْ علينا وأغِثْنا* فقال لهُ يسوعُ إن استطعتَ أنْ تؤمِنَ فكلُّ شيءٍ مُسْتطاعٌ للمؤمن* فصاحَ أبو الصبيّ من ساعَتهِ بدموعٍ وقال إنّي أُؤمِنُ يا سيّد. فأغِثْ عدم إيماني* فلمَّا رأى يسوعُ أنَّ الجمعَ يتبادرون إليهِ انتهرَ الروحَ النجسَ قائلاً لهُ أيُّها الروحُ الأبكمُ الأصمُّ أنا آمرُك أن اخْرُجْ منهُ ولا تعُدْ تدخلُ فيه* فصرخَ وخبَطَهُ كثيرًا وخرجَ منهُ فصار

المجاهد يعرف بالخبرة أن الخطيئة تثور فيه كلما حاول قمعها بالتوبة، والتوبة تجلٌّ من تجليات روح الرب فينا. عندئذ يستفسر يسوع من الأب عن زمن مرض ابنه، وهنا أيضًا محطة هامة. الرب لا يسأل ليعرف، وهو العارف بكل شيء، بل ليعرف سامعو البشارة في كل زمان، وعن طريق جواب الأب، أن الجنس البشري يعاني «منذ صباه» من آلام استسلامه للخطيئة ونتائجه الرهيبة.

بعد استكماله وصف ما كان ابنه يقاسيه، يطلب الأب معونة يسوع بشيء من الشك لعله آت من صعوبة ما تبدو عليه حالة الفتى المصروع. هنا وإزاء حالة مستعصية يبان لنا الأب كمثل مَنْ يسعى في شتى الاتجاهات. «ما نفعت ما بتضرّ»، يقول مَثَلُنا العامّي. التعليم الذي يحمله إلينا الإنجيل في هذه الرواية يبدأ من هنا: الرب يسوع يقلب اتجاه المحادثة، وعلى السؤال يجيب بسؤال. ما عادت المسألة في قدرة السيد على إتمام الشفاء، بل في انفتاح الإنسان على الإيمان، حتى في أحلك الظروف وأقساها. وكأننا بالسيد له المجد يقول للأب ليس شفاء ابنك في يدي بل في يدك. إشكالية الإيمان التي أشرنا إليها آنفًا تظهر معانيها هنا. إذا جلنا على عجائب الشفاء الواردة في الإنجيل نرى السيد في كلها يضع الإيمان أولاً. فهو يغبّط عظمة الإيمان أحيانًا كمع قائد المئة (متى ٨:٧–١٠) والنازفة الدم (متى ٩:٢١–٢٢)، أو يستخرجه إلى العلن كمع أعمى أريحا (مر ١٠:٥١) أو يستحثه بما يشبه القسوة أحيانًا كمع الكنعانية في تخوم صور وصيدا (متى ١٥:٢٥–٢٨). عجائب الرب لا تأتي إظهارًا لقدراته، بل نتيجة لإيمان أصحاب العلاقة، وهذا في صلب علاقتنا بالعلي القدير على مدى الأزمان.

كلمات الرب يسوع فعلت في الأب المتوجع فعلها مزدوجًا: «أؤمن يا سيد فأغث عدم إيماني». ها هو الآن، وفي الوقت عينه، يرى في نفسه ولادة الإيمان بقدرة المخلص وينكشف لناظريه عدم إيمانه. هذه العبارة قالها الأب صارخًا بدموع، إذ منذ تلك اللحظة بات يصارع نزاعه الداخلي. هو يعترف بإيمانه الآتي لا من ذاته بل من كلمات الرب يسوع ويجاهر بعدم إيمانه في الوقت نفسه. هل بات الأب في هذا المقطع الإنجيلي هو المريض الحقيقي؟ «كل شيء مستطاع للمؤمن» تعني أيضًا أنه بلا إيمان لا شيء يستطاع. يعلّمنا قديسو الكنيسة أن أدهى حبائل الشيطان هي «التخدير الروحي»، إذا جاز التعبير. هذا التخدير الذي متى أصاب الإنسان يعميه، فلا يعود واعيًا لبؤس حاله ولا يشتهي التغيير، العودة، أي التوبة. الابن الشاطر ما قرر العودة إلى البيت الأبوي إلا متى وعى شقاءه (لو ١٥:١٧–١٨). يرى بعض شرّاح الكتاب المقدس أن الشخصية المحورية في هذا المقطع الإنجيلي هي الأب لا ابنه المصروع، ولعلهم في هذا مصيبون. أن يعي الإنسان قلة إيمانه هو بلا ريب الخطوة الأولى السديدة على طريق الإيمان الكياني العميق. هذا الوعي لا يكون بلا شيء من استنارة، بلا قبس من نور القدوس. كلمات الرب هي التي فتحت عيني أبي الصبي واستدرّت دموعه، وهي دموع توبة بلا شك.

المسيح الذي أتى إلينا مبشرًا بملكوت الله، ومحققًا إياه بيننا، هو المحرّر من أسر الشيطان، والعجائب ما كانت إلا نذيرًا بغلبة ملكوت الله على سلطة الشيطان، منذ هذه الأرض. لكن هذا يتطلب إيمانًا كيانيًا، عميقًا ومتينًا. المؤمن يمسي مرآة تعكس مجد الرب على من هم

كالميتِ حتَّى قال كثيرون إنَّهُ قد مات* فأخذَ يسوعُ بيدهِ وأنهضهُ فقام* ولمَّا دخلَ بيتًا سألهُ تلاميذُه على انفرادٍ لماذا لم نستَطِع نحن أنْ نُخرِجَهُ* فقالَ لهم إنَّ هذا الجنسَ لا يمكن أنْ يخْرُجَ بشيءٍ إلاَّ بالصلاة والصوم* ولمَّا خرجوا من هناك اجتازوا في الجليل ولم يُرِد أنْ يدريَ أحدٌ* فإنَّهُ كان يعلّمُ تلاميذَه ويقول لهم إنَّ ابنَ البشر يُسلَمُ إلى أيدي الناس فيقتلونَهُ وبعد أنْ يُقتَلَ يقومُ في اليوم الثالث.

تأمل

«ولما دخل بيتاً سأله تلاميذه على انفراد: لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه؟ فقال لهم: هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم» (مر ٩:٢٨-٢٩).

يقول البعض إن الصلاة والصوم يجب أن يصدرا عن المريض. هذا غير صحيح، لأن الواقع تحت تأثير الروح الشرير المسيطر عليه كيف يستطيع أن يصلّي ويصوم بطريقة مفيدة لنفسه؟

يبدو أن الشيطان كان للهلاك طالما يلقي الصبيَ في النار وفي حوله، والمقطع الذي يتلى علينا اليوم يحكي إيمان الأب، لا إيمان ابنه المريض. ألم يشفِ المخلّع في كفرناحوم كرمى لإيمان حامليه (لو ٥:٢٠)؟

الصلاة الربانية

+ **ليتقدّس اسمك:** في هذه الطلبة يعلن المؤمن أن اسم الله مقدس، وأن علينا أن نتعامل مع هذا الاسم بكل احترام وتقوى. الاسم عامة مرتبط بالشخص صاحب الاسم، فالاسم يستحضر صاحبه. إذاً، عندما نتحدث عن اسم الله فنحن نتحدث عن الآب. في العهد القديم لم يكن الشعب يجرؤ على لفظ اسم الله وذلك خوفاً من تدنيس الاسم الإلهي، ومن مخالفة الوصية: «لا تنطِقْ باسمِ الربِ إلهِكَ باطلاً. لأنَّ الربَّ لا يبرِئُ مَنْ نطَقَ باسمهِ باطلاً» (خروج ٢٠:٧).

كل الأسماء التي تُعرِّف عن الآب ما هي إلا صفات له تعبّر عن تجلّيات الله وأفعاله في التاريخ. فهو الأزلي، السيد، المبارك، رب الجنود، الكلي القدرة، رب السموات، يهوه (أكون مَنْ أكون)، القدوس إلخ. واسم «أبانا» الذي نردده في هذه الصلاة تعرفنا عليه من خلال الابن الوحيد يسوع الذي جعلنا إخوة له على الصليب وبه صرنا أبناءً لله بالتبني.

مَنْ يقرأ الكتاب المقدس يلاحظ أن الله يقدس اسمه عندما يكشف عن ذاته وقدرته أمام الشعب ويعمل معهم العظائم. عندما كان الشعب العبراني في صحراء سيناء بعد خروجه من مصر بعون الله وقيادة موسى وهرون، ولم يكن ماء، وشكك الشعب بعناية الله، قال الله لموسى أن يضرب بالعصا على الصخرة أمام أعين الجماعة فتُخرج لهم ماءً، وهكذا كان. خرج الماء من الصخرة وروى الشعب العطشان. «فقالَ الرب لموسى وهرونَ من أجل أنَّكما لم تؤمنا بي حتى تُقدّساني أمامَ أعْيُنِ بني إسرائيلَ لذلك لا تدْخِلان هذه الجماعةَ إلى الأرض التي أعطيْتُهُمْ إيَّاها. هذا ماءُ مَريبَةَ حيث خاصَمَ بَنو إسرائيلَ الربَّ فتقدَّسَ فيهِمْ» (عدد ٢٠:١٢-١٣). إذاً، الله يظهر قداسته من خلال أعماله. وهكذا فإن دعوته لنا «كونوا قديسينَ لأني أنا قدوسٌ» (١ بط ١:١٦) تعني أن نكون قديسين من خلال أعمالنا. ومتى عملنا بحسب وصايا الله فنحن نقدس اسمه ونجعله مقدسًا بين الناس: «فليُضئْ نورُكُمْ هكذا قُدَّامَ الناسِ لكيْ يَرَوا أعمالَكُمُ الحسَنَةَ ويمجِّدوا أباكُمُ الذي في السمواتِ» (متى ٥:١٦). متى فعلنا نقيض أعماله فنحن نسيء إلى الله وقداسته، وبالتالي نعرّض اسمه للتجديف، ولا نعود نستحق أن نُدعى أبناءً لله. والويل لمن يجعل اسم الله للتجديف بدل القداسة. من هنا فإن تقديس اسم الله بالنسبة للقديس يوحنا الذهبي الفم يوازي تمجيده بالتسابيح والأعمال. يقول: «لأن «ليتقدس» تعني «ليتمجد». لذا يأمر السيد مَنْ يُصلّي أن يطلب تمجيد الله أيضًا بحياته».

كلما صلّينا «ليتقدس اسمك» نعلن للملأ أن الله هو القدوس واسمه مقدس في كل آن، ولكي يصير هذا الاسم مقدسًا فعليًا لا نظريًا علينا أن نقوم بما يوافق قداسة الله، عندها فقط يتقدس اسمه.

+ **ليأت ملكوتك:** يُختتم سفر الرؤيا، في نهاية كتاب العهد الجديد، بعبارة «تعالَ أيها الرب يسوع المسيح» (٢٢:٢٠)، «ماران أثا» (١ كور ١٦:٢٢). وهي تعبّر عن الرغبة التي كانت تغمر قلوب مسيحيي الكنيسة الأولى بعودة الرب يسوع سريعًا وبالتالي التحقيق النهائي

الماء ليهلكه. هكذا تفعل الأهواء الغريبة المهلكة، تغرّق صاحبها في المياه من كثرة المآكل وكثرة الشراب. والروح هو أبكم أخرس لأن الذي يقع تحت سيادته لا يعود يطيق السماع أو التكلم بالأمور الإلهية. أما من لم يسيطر عليه بعد الروح الشرير بل يتلقّى فقط سهامه من الخارج، فيستطيع أن يقومَ من جديد ويصطلح لأنه لا يزال مسيطرًا على إرادته الذاتية ويحتاج إلى صلاة وصوم.

بالصوم يُكبح جماح الأهواء ويوضع حدٌّ لثوراتها، وبالصلاة تنشلّ قوى النفس الشريرة وتهدأ الأفكار التي تسبب ذلك الألم. هكذا عن طريق الصلاة والصوم يُستبعد تأثير القوى الشريرة ولا يعود الهوى مسيطرًا.

لكن عندما يسيطر الروح الشرير لا يعود الإنسان يستطيع أن يفعل شيئًا من أجل شفائه لأن حريته مكبّلة. إنه ينتظر من المحرّرين وخصوصًا الذين يسكنهم الروح القدس أن يساهموا بقوة عن طريق الصلاة والصوم لإخراج الشيطان.

القديس غريغوريوس بالاماس

لملكوت الله الذي افتتحه وبدأه الرب يسوع حين تجسد وافتدى البشر.

«ليأتِ ملكوتك» تعبير عن رجاء المؤمنين بالزمن الذي فيه يصير الله «الكل في الكل» (١ كور ٢٨:١٥)، عن رغبتهم بأن يسود الله في أحكامه هو على الجميع، كأننا عائشون في ملكوته هو. دعوتنا لأن يسود ملكوت الله تعني أننا نقبل ملكوته ونقبله ملكًا وسيدًا على حياتنا، ونقبل أحكامه التي علينا أن نسعى إلى تطبيقها منذ الآن. لكن «الله لم يرَهُ أحدٌ قطُّ. الابنُ الوحيدُ الذي هو في حضنِ الآبِ هو خبَّرَ» (يو ١٨:١). لذا فإننا بيسوع تعرّفنا على ملكوت الله. هذا الرب الذي قال «توبوا لأنه قد اقتربَ ملكوتُ السمواتِ» (متى ١٧:٤)، وقال «ها ملكوتُ الله داخِلَكُمْ» (لو ٢١:١٧). هذه الأحكام والوصايا التي وضعها الرب يسوع منذ بداية بشارته هي أحكام ملكوت الله منذ الآن وإلى اليوم الأخير. هكذا علينا منذ اليوم أن نبرهن عن صدقية رغبتنا بأن يسود ملكوت الله ويتحقق هذا الملكوت عبر تطبيقنا لوصاياه. علينا أن نشكر الله على سماحه لنا أن نتذوّق منذ الآن ما سوف نحياه بالكامل في اليوم الأخير.

الرسول بولس يقول: «ليس ملكوتُ الله أكلاً وشُرْبًا، بل هو برٌّ وسلامٌ وفرَحٌ في الروحِ القدُسِ» (رومية ١٧:١٤). ملكوت الله هو حضور الروح القدس في الإنسان. أن تطلب الملكوت يعني أن تحيا منذ الآن بالروح القدس الذي زُرع فيك يوم معموديتك. إن لم يحييَ المسيحي الملكوت منذ الآن لن يحصل عليه في اليوم الأخير.

هنا لا بد من الإشارة إلى أننا في القداس الإلهي نُعطى نعمة أن نحيا ولو لوقت قصير هذا الملكوت في كماله. كل المؤمنين مجتمعون حول جسد الرب ودمه، ويشتركون معًا بهذا الجسد والدم، ويتّحدون مع بعضهم. يتصالحون قبل التقدّم إلى المناولة. يعلنون إيمانهم المشترك بعد إعلانهم عن محبتهم لبعضهم. يتصرفون هناك كأبناء للملكوت حيث «ليسَ يهوديٌّ ولا يونانيٌّ، ليسَ عبدٌ ولا حرٌّ، ليسَ ذكرٌ وأنثى لأنَّكمْ جميعًا واحدٌ في المسيحِ يسوعَ» (غلا ٢٨:٣). وحيث ينتفي كل حقد ونميمة وشر. في نهاية القداس يقول لنا الكاهن: «لنخرج بسلام». إلى أين؟ نخرج من الملكوت لنعود إلى حياتنا العادية لا لكي نحيا كعادة أبناء هذا الدهر بل لنحيا بحسب ناموس الملكوت ولنشهد بهذا الملكوت لجميع البشر.

في الوداعة

+ الوداعة دعامة للصبر وباب للمحبة بل أم لها، وأساس للتمييز، إذ قيل: «ان الرب يعلّم الودعاء طرقه» (مزمور ٩:٢٤). هي نصرة لغفران الخطايا ودالة في الصلاة ومسكن للروح القدس، لأنه قيل: «إلى من أنظر إلا إلى الوديع الهادئ؟» (أشعياء ٢:٦٦).

+ نفوس الودعاء تمتلئ معرفة أما العقل الغضوب فيساكن الظلام والجهل.

+ البساطة فكر عديم التكلف، وخلق عديم الغش، وكلام عديم التصنع والتنميق.

القديس يوحنا السلَمي

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb